

# خلافات أهل السنة والشيعة

**إذا** كان الشيعة يتفقون مع أهل السنة في أصول وأركان الإسلام، فما هي نقاط الخلاف بينهما؟

الاختلافات في الفروع بين أهل السنة ومذهب الشيعة الجعفرية الإمامية الاثني عشرية، ومذهب الشيعة الزيدية وهما أكبر وأهم فرق الشيعة، بينما هناك خلافات أساسية بين أهل السنة وفرق أخرى من فرق الشيعة، بعضها اندثر ولم يعد له وجود في الوقت الحاضر سوى في الكتب القديمة، وبعضها ما زالت له بقايا محدودة العدد والتأثير.

والشيعة عموماً كانوا أهم انشقاق في التنظيم السياسي للدولة الإسلامية، حتى إن بعض الباحثين يعتبرونهم أقوى أحزاب المعارضة في التنظيم السياسي للدولة الإسلامية، وقد أقاموا معارضتهم لحكم معاوية على أساس عقائدي، كانت بدايته نظرية الإمامة التي وضعها على بن إسماعيل بن ميثم الثمار الذي ألف كتابي (الإمامة) و(الاستحقاق)، وتبلورت النظرية بعد ذلك حتى أصبحت أصلاً من أصول الإسلام عند الشيعة، فالشيعة لا يستخدمون لفظ الخليفة لأنه - حسب اعتقادهم - يشير إلى الذين اغتصبوا حقوق آل البيت في ولاية أمر المسلمين.

والشيعة حين يذكرون لفظ (الإمام) دون تحديد اسمه يقصدون الإمام علي بن أبي طالب، وفي أدبيات الشيعة أن الإمامة هي خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وهي رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلفاً عن النبي ﷺ في إقامة الدين وحفظ حوزة الله ولذلك يجب اتباع الإمام، فهو الذي يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويدافع عن دين الله، وهو مطهر من الذنوب، مبرأ من العيوب،

واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، وليس له مثل أو نظير اختصه الله الوهاب بالفضل كله من غير طلب منه أو اكتساب.

والإمام عند الشيعة ليس حاكماً سياسياً فقط ولكنه جامع لكل السلطات الدينية والديوانية، وهو معين من الله وليس من البشر، واختيار الإمام باختيار البشر خروج على إرادة الله، وفي ذلك يظهر الخلاف مع أهل السنة الذين رأوا أنه ليس هناك شخص يعينه يمكن أن يكون الوارث لرسالة الرسول ﷺ. واختيار الإمام أو الخليفة أو الحاكم يتم عن طريق أهل الحل والعقد، وللمتجهدين من الأئمة، أي بالطريق الديمقراطي وليس بالسلطة الإلهية. وعموماً فإن أهل السنة ليست لهم أبحاث حول الإمامة مثل أبحاث الشيعة، لأن مذهب الشيعة قائم على حق الإمام عليّ ونسله في الخلافة وعدم أحقية الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم.

فالشيعية - كما يقول الدكتور مصطفى الشكعة - لم يكونوا في أول الأمر فرقة دينية، بل فكرة سياسية تعبر عن رأي سياسي في أن علياً أحق بالخلافة من معاوية.

والدكتور الشكعة يرى أن الفرس اعتنقوا المذهب الشيعي لأسباب سياسية، فهم يعتقدون أنهم أنسباء الحسين لأنه تزوج شهر بانو (سلافة) ابنة يزيد بعد أن وقعت أسيرة في يد المسلمين، وابتها من الإمام الحسين هو الإمام عليّ زين العابدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإذن فإن الفرس يرون أنهم أحوال الإمام عليّ زين العابدين، وجاء تشيعهم أقرب إلى العصبية منه إلى تشيع العقيدة، وتشيع العصبية يساوي تشيع السياسة، أما حب آل البيت فيشترك فيه المسلمون جميعاً لا فرق بين أهل سنة وشيعة.

أما جمهور الشيعة الإمامية الأقرب إلى أهل السنة، فيشملون ثلثي سكان إيران تقريباً، وأكثر من نصف سكان العراق، ومئات الآلاف من أبناء لبنان، وملايين في الهند والجمهوريات الإسلامية التي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي السابق وحصلت على استقلالها. والشيعة الإمامية فيها فرق متعددة ولذلك يجب الحذر عند الرجوع إلى كتب هذه الفرق فلا ننسبها إلى الإمامية جميعاً. وأكبر الفرق هي

الإمامية الاثنا عشرية وتسمى أحيانا الجعفرية لأنها تستمد الفقه من الإمام جعفر الصادق، ولم يكن جعفر الصادق إماما للشيعة وحدهم، ولكنه كان إماما لجميع المسلمين، مثل أبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل، وكان يجلس في مسجد الرسول ﷺ وتلمذ على يديه مئات، وفي نفس الوقت كان إماما عند الشيعة الإمامية ورأوا أن له الولاية والوصاية.

والاثنا عشرية - كما يقول الدكتور الشكعة - بعيدة عما تورطت فيه فرق شيعية كثيرة، فهم يبرعون مما جاء على لسان بعض الفرق ويعتبرونه كفرا وضلالا. وباب الاجتهاد عندهم مفتوح لم يغلق أبدا، وللمجتهد أن يبدي رأيه ويؤخذ به إن كان متفقا مع الكتاب والسنة متمشيا مع المعقول، وهم يزيدون على أركان الإسلام الخمسة ركنا آخر هو الاعتقاد بالإمامة، كما سبق القول، ويعتقدون أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، فإنه كذلك يختار من يشاء للإمامة، ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماما للناس من بعده للقيام بما كان النبي يقوم به. والفارق بين الإمام والنبي أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي، فالنبي مبلغ عن الله، والإمام مبلغ عن النبي.. وكل إمام لابد أن ينص على الإمام اللاحق، والإمام عندهم - كالنبي - معصوم من الخطأ، فهو في منزلة دون النبي وفوق البشر كما يقول واحد من كبار رجال الشيعة هو الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه (الشيعة: أصلها وأصولها).

ويرى الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن الاعتقاد في الإمامة ركن جوهرى في العقيدة، لكنهم يرون أن عدم اعتقاد غيرهم بالإمامة لا يخرجهم من الإسلام، ولكن تتفاوت درجات المسلمين في الآخرة، لأنهم يعتقدون أن الله يختار الإمام كما يختار النبي، ولا يخلق الأرض بعد النبي من حجة على العباد، ويروون الأحاديث بأن النبي ﷺ أوصى عليا، وأن عليا أوصى ابنه الحسن، وأن الحسن أوصى الحسين، وهكذا حتى الإمام الثاني عشر محمد الحسن العسكري القائم بالحجة، وهو الإمام الغائب، وهو الإمام المنتظر، والمهدى المنتظر، وحين يظهر عملاً الأرض عدلا.

الإمامية - كما ذكرنا - لا يقبلون الأحاديث بغير طريق أهل البيت عن الإمام علي. أما الأحاديث التي جاءت عن أبي هريرة مثلاً وعن غيره فلا يقبلونها، ولذلك لا يعترفون بكتب الأحاديث التي يعتمد عليها أهل السنة مثل موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، والصحيحين.

وهم لا يأخذون بالقياس الذي سار عليه بعض فقهاء أهل السنة. وفي الصلاة لا خلاف بين أهل السنة والإمامية إلا في صلاة الجمعة والعيدين، فصلاة الجمعة معطلة عند بعضهم (وليس كلهم) لأن هذا الفريق يرى أن صلاة الجمعة لا تجوز ما دام (الإمام) غائباً، أما بقية الإمامية فإنهم يؤدون صلاة الجمعة. وصلاة العيدين عند الإمامية فريضة مثل الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، بينما عند الحنفية صلاة العيدين واجبة وليست فريضة، وعند الشافعية هي سنة، كذلك النوافل في رمضان فهم يزيدون فيها ويصلونها فرادى في بيوتهم وليس في جماعة في المسجد لأنها سنة وليست فرضاً. والجماعة لا تكون - عندهم - إلا في فرض، ويستشهدون في ذلك بحديث عن الرسول ﷺ - والزكاة عندهم مثل الزكاة عند السنة، وكذلك زكاة الفطر، ويضيفون زكاة مقدارها (الخمس) يعتبرونها فريضة فرضها الله لآل البيت، وتقسم إلى ستة أجزاء، ثلاثة للإمام إن كان ظاهراً، ولنائبه إن كان الإمام مستوراً، والأجزاء الثلاثة الأخرى للفقراء وللحاجين من نسل النبي ﷺ وغيرهم.

□□□

مسألة أخرى تمثل خلافاً بين أهل السنة والشيعة، هي مسألة (التقية). كأن يتظاهر الشخص باعتناق عقيدة لا يؤمن بها في داخله، لكي يحافظ على ماله وعرضه ودينه وعقيدته. وبعض فقهاء أهل السنة يبيحون ذلك في حالات الضرورة القصوى كما يقول أحمد أمين في كتابه الشهير (فجر الإسلام). وبعض الشيعة للحدثين يعلنون عدم اقتناعهم. يبدأ التقية لكن الإمام الخميني يقول: إن التقية جزء من العقيدة غير منفصل عنها، وإن كل من له أقل قدر من التعقل يدرك أن حكم التقية من أحكام

الإله المؤكدة، فقد جاء أن من لا تقية له لا دين له، قال الإمام الخميني ذلك في كتابه (كشف الأسرار) الذي ترجمه الدكتور محمد البنداري ونشر في عمان. لكن العلامة الشيعي موسى الموسوي ينكر التقية ويقول: إنها لا تليق بالمسلم إلا في حالة واحدة لخصها الإمام محمد الباقر في كلمتين حين قال: إنما حُلت التقية ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقية.

وينقل الدكتور الشكعة عن موسى الموسوي قوله: لقد أراد بعض علمائنا رحمهم الله أن يدافعوا عن التقية التي يتحدث عنها علماء الشيعة، وتعنى أن تقول شيئاً وتضمّر شيئاً آخر، وتقوم بعمل عبادي أمام سائر الفرق الإسلامية وأنت لاتعتقد به، ثم تؤديه في بيتك بالصورة التي تعتقد بها، وقد نفى موسى الموسوي أن يكون أياً من الأئمة قد عمل بها، ابتداء من الإمام عليّ وانتهاء بالحسن العسكري، ويقف عند الإمام جعفر الصادق لينفي عنه هذه الظاهرة لأن أكثر فتاوى التقية نسبت إليه كما نسب إليه قوله بوجودها، والإمام جعفر الصادق لم يقل بها، ولم يكن في حاجة إليها، لأنه كان يدرس في مسجد الرسول ﷺ وحوله آلاف من التلاميذ فكيف يمكن لمدرسة فقهية أن تبني على التقية.. ويقول الموسوي: الآن وبعد أن أصبحت الحرية الفكرية حقاً مقدساً، فكيف يعيش للجمع الشيعي بقيادة زعاماته مغلقاً على نفسه بالتقية، يظهر شيئاً وبطن شيئاً آخر، مثلما يفعلون في الشهادة الثالثة وهي (أشهد أن علياً ولي الله) بينما جميع علماء الشيعة يتفقون على أنها بدعة لم تكن معروفة في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد الإمام عليّ، ومع ذلك فلا يجرؤ واحد منهم على أن يعلن أنها بدعة. ويرر السكوت على أنه التقية!

□□□

خلاف آخر مهم حول اعتقاد الشيعة بأن الأئمة الاثني عشر سيعودون إلى الدنيا الواحد بعد الآخر في آخر الزمان، ويحكمون الدنيا، واحداً بعد الآخر حسب التسلسل الزمني لهم، بحيث يحكم الواحد منهم فترة ثم يموت مرة أخرى ليتولى

الحكم بعده من يليه، وهكذا حتى يأتي الإمام الغائب الحسن العسكري فيحكم العالم بالعدل والحق وتقوم القيامة بعد ذلك. وقد نسبت في ذلك روايات كثيرة إلى الإمام محمد الباقر، وابنه الإمام جعفر الصادق، وهما من أئمة بيت النبوة، ويرفض بعض علماء الشيعة الإمامية ما ينسب إليهما في هذا الشأن. وفي مقدمتهم موسى الموسوي في كتابه (الشيعة والتصحيح) وهذا يعني أن هناك الكثير من الأقوال في الكتب القديمة منسوبة إلى أئمة الشيعة ليس لها أساس من الصحة ولم يعد كثيرون يعتقدون في صحتها.

يقول العلامة موسى الموسوي عن فكرة (الرجعة) بأنها بدعة من البدع الأخرى التي أضيفت إلى الأفكار الشيعية لم يترتب عليها عمل سياسي أو اجتماعي، اللهم إلا شيء واحد قد يكون هو السبب في اختلاق هذه الفكرة، هو استكمال العداء وتمزيق الصف الإسلامي. تمثل هذه الخزعبلات التي دونت وقيلت في انتقام الأئمة من صحابة رسول الله ﷺ.

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة إن ما يجعل من قضية رجعة الأئمة إلى الحياة تستدعي المراجعة ذلك الكلام الكثير الذي جرى حول ما إذا كان الإمام الثاني عشر شخصية حقيقية أو أنه شخصية وهمية. ذلك أن الإمام الثاني عشر هو أول الأئمة رجوعاً إلى الدنيا، يخرج من السرداب الذي اختفى فيه في مدينة سامرا ليحكم المسلمين وينشر العدل في أرجاء الأرض ويعهد لأبائه وأجداده الأحد عشر لكي يرجعوا أو يبعثوا من جديد، يتولى كل واحد بالتسلسل حكم المسلمين، فإذا ما كان هذا الإمام شخصية وهمية انهارت قضية الرجعة من أولها إلى آخرها.

إن الحقيقة الراجحة عند جمهرة المؤرخين المسلمين أن الإمام الحسن العسكري- الإمام الحادي عشر - قد مات عن غير ولد، أي إنه لم ينجب، وقام أخوه جعفر بنصفية تركته على أنه لا ولد له، إذ إن للعلويين سجل مواليد يقوم عليه نقيب بحيث لا يولد لهم مولود إلا سجل فيه، وهذا السجل لم يسجل فيه للحسن العسكري ولد. ويشيع بين كثير من العلويين المعاصرين أن الحسن العسكري

مات عقيماً. فإذا صح ذلك تكون شخصية الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري شخصية غير حقيقية، وإنما اخترعها من اخترعوا غيرها من العقائد الشيعية التي ينكرها كثير من عقلاء الشيعة أنفسهم، فإذا ما كان الأمر على هذا النحو انهارت عقيدة الرجعة من أولها إلى آخرها.

هذا ما وصل إليه الدكتور مصطفى الشكعة.

□□□

وهناك موضوع آخر للخلاف حول المهدي المنتظر، وفي كتاب بعنوان (سيد البشر يتحدث عن المهدي المنتظر) من تأليف حامد محمود محمد ليمود كتب مقدمته شيخنا الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر، ورئيس جمعية النهوض بالدعوة الإسلامية وقال فيها: كثر الحديث في موضوع (المهدي المنتظر) قديماً وحديثاً وألفت فيه كتب عديدة، والثابت في الموضوع أن المهدي المنتظر من أمارات الساعة، وأن ظهوره سيكون في الزمن الذي ينزل فيه عيسى بن مريم عليه السلام آخر الزمان قرب الساعة. وأن خروجه حق تدل عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي سردها المؤلف جزاه الله خيراً، كذلك الأحاديث حسنة الرواية وضعيفة الرواية، وكلها مُجمعة على ظهوره، وفي نشرها في هذه الأيام تعريف للمسلمين بأمر دلت عليه الأحاديث النبوية، وإثبات لما سيكون إن شاء الله في الوقت للحدد.

ويقول الشيخ مخلوف: ونصح المسلمين أن يتقبلوا الأحاديث الصحيحة بقلوب مطمئنة، ويؤمنوا بظهور المهدي في آخر الزمان إيماناً صحيحاً، ويتروكوا الأقوال التي تهدم هذه الأحاديث لصدورها ممن لا علم لهم بالأحاديث، بل لا تقدير لهم ولا عقيدة عندهم بوجودها. ويقول: وإني أستوعبت هذه الرسالة سمعاً، وأسدى لمؤلفها الشكر المزيد لاهتمامه بهذا الموضوع وتقديمه للمسلمين كتاباً قيماً، وبيانا صحيحاً، بأسلوب جيد، خدمة للإسلام، وقياماً بواجب أكيد على مثله، والله المستعان..

هذا ما كتبه شيخنا وهو من أئمة أهل السُّنَّة، وصدر الكتاب في أول يناير سنة ١٩٨٠ في حياة شيخنا الجليل.

أما المؤلف - فيقول في مقدمته إنه بعد حادث الاعتداء على بيت الله الحرام على أيدي أناس تعدوا حدود الله، وسعوا في أشرف بقعة فسادا يتزعمهم مدعى المهديَّة، والذي أغضب المسلمين في جميع أنحاء العالم غَيْرَةً على حرم الله وحرماته، حدثت خلافات بين الناس حول ظهور المهدي المنتظر، فهم بين مُقِرِّ ومُنكِرٍ، وبين ملابِت لرواياته وطاعن فيها. ونتيجة لهذا الخلاف وقعت حيرة عند أكثر المسلمين، إلى أي قول يجنحون، وإلى أي رأي يميلون، ورأيت أنه لا سبيل للخلاص من هذا إلا بوضع رسالة خاصة في هذا الشأن تحوى ما يحسم هذا الخلاف.. فاستخرت الله تعالى على أن أقوم بوضع هذه الرسالة، وإن كنت لست أهلاً لها، فشرح الله صدرى، فجمعت ما تيسر لى من أحاديث الرسول ﷺ في هذا الموضوع، مع بيان حال أسانيدها، فوفقت على أكثر من ثمانين رواية، منها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف، ومنها الصريح ومنها المشير، ومنها الموجز ومنها المطول، ومنها للجمل ومنها المفصل، تكمل بعضها بعضاً وتفسر بعضها بعضاً، وتلتقى كلها على هدف واحد وهو إثبات ظهور المهدي المنتظر، مع ذكر بعض أوصافه وأماراته إثباتاً لا يدع مجالاً للشك بعد ذلك في هذا الأمر ولا مجالاً للطعن فيه.

وينقل مؤلف الكتاب - حامد محمود ليمود - عن السفاريني من كتابه لوايح الأنوار البهية: (وقد روى عن الصحابة والتابعين ما يفيد العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السُّنَّة والجماعة). ويقول بعد ذلك: فلو ورد ما ورد في شأن المهدي من الأحاديث الصحيحة بأى لون من ألوان الطعن، ورُدَّ ما أقره هؤلاء الأعلام لفتح للجال لرد سائر الأمور الدينية والأحكام الشرعية لأن الجميع قد عرف من بحر واحد.. ويضيف إلى ذلك قوله: والجرأة على مثل هذا محاربة للدين لا دفاع عنه والعيان بالله.

يورد حامد ليمود تحت عنوان: الأحاديث الصحيحة الصريحة والمشيرة إليه- نسب المهدي ومدة خلافته وعدله ورخاء عهده: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً.. قال له رجل: ما صحاحاً؟ قال ﷺ: بالسوية بين الناس، وملأ الله قلوب أمة محمد غنى، ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً فينادى فيقول: من له من مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول: أنت السدان- يعنى الخازن- فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالا، فيقول له: أحت حتى إذا جعله فى حجرة وأنتزره ندم، فيقول كنت أشجع أمة أو عجز عني ما وسعهم؟ قال: فيرده، فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناها، فيكون كذلك سبع سنين، أو ثمانى سنين، أو تسع سنين، ثم لا خير فى العيش بعده -أو قال- ثم لا خير فى الحياة بعده» رواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير. قال الهيثمى ورجالهما ثقات، وقال السيوطى فى الحاوى: وإسنادهما جيد.

ثم ينقل المؤلف عشرات الأحاديث تكرر هذا المعنى تقريباً ومنها عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتى من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً» رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأقره الذهبى.

ويذكر بعد ذلك تحت عنوان (خسوف الجيش الذى يخرج لقتال المهدي): عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يعود عائد بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببنياء من الأرض خُسف بهم. قلت يا رسول الله فكيف بمن كان كارها؟ قال ﷺ: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والحاكم وقال: على شرط الشيخين، وأقره الذهبى والترمذى.. وهكذا يورد أحاديث كثيرة بذات المعنى.

لكن ابن خلدون قال بأن كل الأحاديث عن المهدي ضعيفة، أما الشيخ أحمد شاکر - وهو من كبار المحققين للتراث- فقد ذكر فى مقدمته لكتاب مسند الإمام أحمد ما قاله

ابن خلدون في مقدمته وقال: إن ابن خلدون أراد تضعيف أحاديث المهدي بما غلب عليه من الرأي السياسي في عصره. فابن خلدون حكم على جميع الأحاديث الواردة في خروج المهدي بأنها من خرافات الرافضة وفسأسهم، ورأى الشيخ شاكر أن ما قاله ابن خلدون طعن بمجرد الرأي وليس بمنهج تحقيق علم الرواية.

وهناك خلاف حول شخصية المهدي المنتظر فقد قال الشيعة الإمامية: إنه هو محمد بن الحسن العسكري، من ولد الحسن، وزعموا أنه اختفى يوماً من أعدائه، وقال ابن القيم -وهو يتحدث عن الذين ادعوا أنهم هم المهدي المنتظر-: أما المهدي عند المغاربة فهو محمد بن تومرت، فإنه رجل كذاب ملك بالظلم فقتل النفوس وأخذ أموال المسلمين وكان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير، وكان يودع بطن الأرض جماعة من أصحابه أحياء يأمرهم أن يقولوا للناس إنه المهدي الذي بشر به النبي، ثم يردم عليهم ليلاً لئلا يكذّبوه بعد ذلك، وسمى أصحابه الجهمية: الموحدين واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم. وقال ابن القيم: ثم خرج المهدي الملحد عبيد الله بن ميمون القداح، وكان جده يهودياً من بيت مجوسى، فانتسب بالكذب والزور على أهل البيت وادعى أنه المهدي الذي بشر به النبي، وملك، واستفحل أمره إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون -الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ولرسوله- على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام، واشتدت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم. وكانوا يدعون الألوهية، ويدعون أن للشريعة باطنا يخالف ظاهرها. وهم ملوك القرامطة الباطنية، فتستروا بالانتساب كذبا إلى أهل البيت ودانوا بالإلحاد وروجوه إلى أن أنقذ الله الإسلام منهم ونصر الإسلام بصلاح الدين الأيوبي فأبادهم، وعادت مصر دار إسلام بعد أن كانت دار نفاق وإلحاد في زمنهم- هذا ما جاء في كتاب نقد المنقول -أو المنار في الصحيح والضعيف- لابن القيم.

هكذا نجد أن موضوع المهدي المنتظر شغل أهل السنة والشيعة معاً، وذكرت فيه أحاديث كثيرة، متعارضة ومتناقضة تجعله أقرب إلى أسطورة من الأساطير التي نجدها في كل الأديان.

□□□

ويقول الدكتور الشكعة: إن الشيعة يعتقدون أن من يزور قبور أئمتهم أو يسهم في بنائها ينال ألواناً من الثواب لا نهاية لها، وينالون شفاعاة الرسول ﷺ، ويصيبهم ثواب سبعين حجة غير حجة الإسلام، وعمى خطاياهم. ويورد عن الإمام الخميني في كتابه (كشف الأسرار) رواية منسوبة عن الإمام جعفر الصادق تقول: (ينقل الشيخ الطوسي عن أبي عامر عن الحسين بن علي بأن الرسول ﷺ قال للإمام علي: إنك ستنتقل إلى العراق وتدفن في أرضه، فقال: يا رسول الله وما هو أجر من يزور قبورنا ويقيمها ويجدد العهد معها؟ فقال: يا أبا الحسن، إن الله جعل قبرك وقبور أولادك بقعة من بقاع الجنة، وإن الله أدخل في قلوب المختارين من خلقه حبكم، وجعلهم يتحملون الأذى والذل من أجلكم، ويقومون بإعادة بناء قبوركم، ويأتون لزيارتكم تقرباً إلى الله وزلفى إلى رسوله، وهؤلاء مشمولون بشفاعتي. يا علي، إن من يبني قبوركم ويأتي إلى زيارتها يكون كمن شارك سليمان بن داود في بناء القدس، ومن يزور قبوركم يصيبه ثواب سبعين حجة غير حجة الإسلام، وعمى خطاياهم، ويصبح كمن ولدته أمه. إنني أبشرك، وبشر محبيك بهذه النعمة التي لم ترها عين، ولم تسمع بها أذن، ولم تخطر على بال أحد، إلا أن هناك توافه من الناس يلومون زائري قبوركم كما يلومون المرأة الزانية، إن هؤلاء هم أشرار أمتي، ولا يشملهم شفاعتي). هذا ما قاله الإمام الخميني.

وعن تربة كربلاء حيث قبر الإمام الحسين رضي الله عنه يقول الإمام الخميني: إن طلب الشفاء منها أمر لا حرمة فيه ولا حرج. ويقول إن لها خاصية ليست لغيرها حتى قبر النبي ﷺ نفسه (!) ويقول آية الله الخميني في كتابه (تحرير الوسيلة) إن

تربة كربلاء تخرق الحجب السبع، وترتفع على الأرضين السبع، وهذه الخاصية ليست لأحد حتى قبر النبي ﷺ، ويذكر الخميني ذلك عن تربة النجف أيضا حيث مرقد الإمام عليّ. ويقول الدكتور الشكعة: إن من العادات المعروفة أن الشيعة يقيمون مجالس للعتاء فى شهر للحرم من كل عام. وكان آية الله الخميني لا يحب أن يترك هذه العادة حتى يجعل لها أصولا دينية ومذهبية، فيقول فى كتابه (تحرير الوسيلة): (إن مجالس العتاء تقام لدى الشيعة فى كل مكان، ومع ما فى هذه للمجالس من نقص إلا أنها تروج تعاليم الدين وأخلاقه، وتشيع الفضيلة ومكارم الأخلاق والدين الإلهي، والقانون السماوى المتمثل فى المذهب الشيعي المقدس الذى يدين به أتباع عليّ عليه السلام).

□□□

وبعض علماء الشيعة - وليس كلهم - اعتادوا شتم الصحابة وفى مقدمتهم أبوبكر وعمر وعثمان، وأمهات المؤمنين عائشة وحفصة. والبعض منهم يردد دعاء يسمى (دعاء صنمى قريش) ويقصدون بهما أبا بكر وعمر رضى الله عنهما.

ومن الضرورى أن يكون واضحا أن هذا التجاوز فى سب الصحابة لا يصدر عن جميع الشيعة وإنما عن قلة منهم، ولكن خصوم الشيعة يرددون ذلك على أنه عند جميع الشيعة بطوائفهم المختلفة، بينما نجد من كبار علمائهم من نزهوا فكرهم وأقلامهم عن سب الصحابة، ومن هؤلاء الشيخ حسين كاشف الغطاء، والشيخ محمد جواد مغنية، والسيد موسى الصدر، والإمام محمد تقى القمى وغيرهم وغيرهم من علماء الشيعة الكبار، وفى ذلك يقول الدكتور موسى الموسوى فى كتابه (الشيعة والتصحيح): إن الاختلاف فى الرأى بين الشيعة وأهل السنة اتخذ طابعا حادا وعنيفا عندما بدأت الشيعة تجرح الخلفاء الراشدين وبعض أمهات المؤمنين بعبارات قاسية وعنيفة لا يلىق بأن تصدر من مسلم فى حق مسلم، ناهيك أن تصدر من فرقة إسلامية نحو صحابة الرسول وأزواجه اللاتي لقبهن أمهات المؤمنين.

والمؤكد أن الإمام علياً كرم الله وجهه كان شديد الحب للخلفاء الراشدين، وتعاون معهم، وتحمل مسئولية الحكم بالنيابة عنهم أثناء سفرهم، وكانوا يندبونه لذلك، وعندما توفي أبو بكر وقف الإمام عليّ قائلًا: (رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدّهم يقينًا، وأعظمهم غناء، وأحفظهم على رسول الله ﷺ، وأنسبهم برسول الله خلقًا وفضلًا وهديا، فجزاك الله عن الإسلام، وعن رسول الله، وعن المسلمين خيرا. صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وأسماك الله في كتابه صديقًا، والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون، يريد محمدا ويريدك، وكنت والله للإسلام حصنا وعلى الكافرين عذابا، لم تقلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك. وكنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف كنت كما قال رسول الله ضعيفا في بدنك قويا في أمر الله، متواضعا في نفسك، عظيما عند الله، جليلا في الأرض كبيرا عند المؤمنين. ولم يكن لأحد عندك مطمع، ولا لأحد عندك هواة، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له، فلا حرما الله أجرك ولا أضلنا بعدك).

فإذا كان هذا هو رأى الإمام عليّ في أبي بكر فكيف بعد ذلك لفئة من اتباعه أن يرموه بأبشع النعوت. يقول العلامة الشيعي موسى الموسوي: لا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء الذى نجده فى بعض كتب الشيعة، فهو كلام يغاير الموازين الإسلامية والأخلاقية، ويناقض كلام الإمام عليّ ومدحه وتمجيده فى حقهم، ويجب على الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين وتقدر منزلتهم من الرسول- فالنبي ﷺ صاهر أبابكر وعمر. وعثمان صاهر النبي مرتين. وعمر بن الخطاب صاهر الإمام علياً وتزوج من ابنته أم كلثوم. ولو التزمت الشيعة بما قاله الإمام عليّ فى حق الخلفاء لانتهى الخلاف وساد الأمة الإسلامية سلام فكري فيه ضمان الوحدة الإسلامية.

هذا ما قاله العلامة الشيعي موسى الموسوي في كتابه (الشيعة والتصحيح) وقاله أيضا كثير من علماء الشيعة المعاصرين.

ويضيف الدكتور الشكعة أن الإمام علياً لشدة تعلقه بالخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه سمي ثلاثة من أبنائه بأسمائهم. فقد سمي أحد أولاده أبا بكر، وسمى ولداً ثانياً عمر، وسمى ولداً ثالثاً عثمان، وهذه قرينة كبرى على حب سيدنا عليّ لإخوانه الراشدين صحابة رسول الله ﷺ.

□□□

كذلك فإن في الشيعة من ينفي أن الإمامة منسوبة إلى علي وأنها إحدى دعائم الإسلام، هذه القضية التي فرقت المسلمين، وجعلتهم فرقا متناحرة بعد أن كانوا إخوة متحابين، أشداء على الكفار رحماء بينهم.

والحقيقة أن الشيعة الآن ليسوا هم الشيعة في عصور الفتنة التي اجتاحت المسلمين بسبب الاختلاف على الحكم.

لكن الذين يريدون إشعال الفتنة بين أهل السنة والشيعة يختارون من الكتب ومن أقوال هذه الفرق المتطرفة ما يثير حفيظة أهل السنة. ومعروف أن الغلو عند بعض فرق الشيعة بدأ بإسباغ القداسة على الإمام علي بن أبي طالب، ونسجت أساطير لتبرير هذا الغلو، ونسبت هذه النزعة إلى شخصية يهودية هي شخصية عبدالله بن سبأ، فظهرت طائفة السبئية يهتفون: (أنت أنت. أنت الخالق البارئ) وإن كان هناك من يشكك في وجود عبدالله بن سبأ -كما سبق الإشارة إلى ذلك- لكن هذا الفكر وجد في مرحلة من المراحل ونسب إليه، وتسبب هذا الفكر وأمثاله من مذاهب الغلو والتطرف في الإضرار بالمسلمين وبالإسلام ذاته، ولاشك أن هذا الفكر غريب على الإسلام، ولا يمكن أن يحسب عليه؛ مثل القول بإسباغ الألوهية على النبي ﷺ والقول بأن روح القدس كانت في النبي ﷺ، ثم في علي وأولاده حتى الإمام الثاني عشر. وفكرة حلول روح القدس في إنسان ليست فكرة إسلامية في

أصلها، ومنهم من قال: إن الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص، وذلك النور في شخص يكون نبوة وفي شخص يكون إمامه وربما تناسخ الإمامة فتكون نبوة.. وكان بشار بن برد الشاعر المعروف من أنصار هذه الفرقة.. وهناك من قال بأن الله خلق محمدا ﷺ، ووكل الأمور إليه، فخلق محمد ﷺ الدنيا، ثم فوض الإمام علياً بعد ذلك في تدبير العالم، فهو المدبر الثاني بعد الرسول. ويشرح فخر الرازي في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) أفكار هؤلاء الغلاة فيقول: إن الذين يقولون إن الله خلق روح عليّ وأرواح أولاده وفوض العالم إليهم، فخلقوا هم الأرضين والسموات، يدعون أننا حين نقول في الركوع سبحان ربى العظيم وفي السجود سبحان ربى الأعلى، فإن المقصود أن الإله الأعلى هو عليّ وأولاده، والإله الأعظم هو الذى فوض عليهم العالم.

ولست أريد أن استطرد في ذكر أمثال هذه الأفكار المخالفة للعقيدة الإسلامية التى تسربت من عقائد أخرى تخالف الإسلام، ونحن نعرف أن فئة من المنافقين كانوا من أعداء الإسلام، أعلنوا إسلامهم فى الظاهر وأبطنوا العداة، وتسلبوا حتى أصبحوا فى المقدمة فسدسوا فى عقائد المسلمين ما ليس منها بادعاء أن ذلك هو التعبير عن شدة الإيمان وشدة الحب لآل البيت.

صحيح أن هناك أقوالاً شاذة، وقرناً شاذة، ذكرتها الكتب القديمة وركزت عليها، وكأنها هى عقائد جميع الشيعة، وهذا خلط يجب التنبه إليه.

مرة أخرى نقول إن هناك خلافاً بين أهل السنة مع الشيعة، لكن هذا الخلاف ليس على القرآن، أو التوحيد، أو الإيمان بنبوة محمد ﷺ، أو على أركان الإسلام الخمسة، ولكنه على أفكار ونظريات ذكرنا أمثلة منها.. أما الغلو والتطرف فقد انتهى تقريباً، ولم يعد سوى صفحات فى الكتب القديمة، يحلو للبعض أن يقلب فيها ويستخرج منها الأقوال الغريبة الشاذة التى ذكرت بعضها.

والخلاصة : نحن مع الغالبية العظمى من الشيعة. ونحن مع التجديد والمراجعة في المذهب الشيعي والمذاهب السنية بحثاً عن تنقية الكتب مما فيها من أكاذيب ومادسه فيها أعداء أهل السنة والشيعة معا وأرادوا أن يظل المسلمون في خلاف إلى يوم الدين.

ونحن مع الدعوة إلى التقريب بين المذاهب. حتى نصل إلى نقطة يصبح عندها المسلمون جميعاً مسلمين.. بلا تعصب.. وبلا إصرار على العيش في الماضي والتمسك به إلى حد التقديس.. فالماضي مضى وانتهى.. ونحن نعيش عصراً مختلفاً ليس فيه الصحابة ولا معارك فيه حول الخلافة.. نحن في عصر يواجه فيه المسلمون حروب إبادة.. ومن يشعل الفتنة والخلافات بينهم هو عون لأعدائهم وسلاح ضد المسلمين في هذه الحروب.

ومن يتبع دعوة الله فهو المسلم حقا.. فقد دعانا ربنا الواحد الأحد إلى أن نكون إخوة، وأن نعصم بحبل الله جميعاً، ولا نتفرق فتذهب ريحنا، بعد أن أصبحنا بفضل الله إخواناً. ومن يستجيب لدعوة الله غير المؤمنين الصادقين؟..